عنوان البحث: علاقة الخليفة المأمون مع التلمحري – مقاربة ما بين التسامح الديني والجدل الفكري

الباحث: أ.د. مها سعيد حميد الخفاف
مكان العمل: جامعة الموصل/ مركز دراسات الموصل
الإيميل: Mahasaeed @uomosul.edu.iq

تاريخ النشر: جمادى الآخرة 1447 هـ / تشرين الثاني 2025

الملخص:

على الرغم من وجود اكثر من مفهوم للتسامح الديني وفقا للخلفيات المعرفية والثقافية ، إلا أن توظيف مفهومه في هذا البحث هو إصغاء السلطة للآخر بما تحمله من مسؤولية بمعطيات الراعي والرعية، وقد يتحول هذا الاصغاء في شكله العام الى جدل فكري وسماع الرأي والرأي الاخر، وبالتالي تغيب صفات التشدد والتعصب الديني والمناطقي، إذا ما التزمت السلطة بما ورد انفا، وقد كانت نصوص التلمحري تعبر عن التسامح الديني الذي اتسم به الخليفة العباسي المأمون (198–218هـ/813–833م)، وفي الوقت نفسه هي نماذج مهمة للجدل الفكري الحاصل بين الطرفين، وهو بحد ذاته جدل ناتج عن ثقافتين ثقافة عربية اسلامية وثقافة نسبية سريانية، الاولى فيها من التسامح– على عهد الخليفة المأمون على اقل تقدير_ جعلت مساحته محل اهتمام وجدارة في بحثه وكشف تفاصيله، والثانية التعامل بمنطق الرعية الساعية الى المحافظة على الخصوصية والزعامة الدينية بمؤهلات التلمحري– كأنموذج– وهذا ما سيتناوله البحث.

الكلمات المفتاحية: الخليفة المأمون، التلمحري، التسامح الديني، الجدل الفكري.

Al Malweah
for Archaeological
and Historical Studies

Vol 12, Issue 42, Nov 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

Search title: **The Relationship of Caliph al-Ma'mun with Al-Talmahri: An Approach Between Religious Tolerance and Intellectual Debate**

Researcher: **Prof. Dr. Maha Saeed Hamid Al-Khafaf**

Workplace: **University of Mosul/Mosul Studies Center**

Email: **Mahasaeed @uomosul.edu.iq**

Publication date: **November 2025**

Abstract:

Although there is more than one concept of religious tolerance according to cognitive and cultural backgrounds, the use of its concept in this research is the authority listening to the other with the responsibility it bears for the data of the shepherd and the flock. This listening, in its general form, may turn into an intellectual debate and hearing the opinion and opinion of the other, and thus is absent. Characteristics of religious and regional extremism and fanaticism, since the authority adhered to what was mentioned above. The texts of Al-Talmuhari expressed the religious tolerance that characterized the Abbasid Caliph Al-Ma'mun(198-218 AH/813-833 AD) , and at the same time they are important examples of the intellectual debate taking place between the two parties, which in itself is a controversy resulting from two cultures, an Arab-Islamic culture and a relativist culture. Syriac, the first of which was tolerant - during the reign of Caliph Al-Ma'mun at the very least - made its area a subject of interest and merit for research and revealing its details, and the second was dealing with the logic of the parish seeking to preserve privacy and religious leadership with the qualifications of Al-Talmahri - as a model - and this is what the research will address .

Keywords: Caliph Al-Ma'mun, Talmahri, religious tolerance, intellectual controversy.

المقدمة:

تعد المصادر السريانية مصدرا مهما لدراسة الاحداث التاريخية، ولاسيما اذا كان مؤلفوها معاصرين للأحداث التاريخية، ومنهم المؤرخ ديونيسيوس التلمحري الذي قدم لنا وصفا نوعيا لشخصية الخليفة المأمون لا نجده في اي مصدر اخر ، في حين كانت للتلمحري جهود حثيثة في الحفاظ على وحدة صفوف رعيته من الانقسام والتشتت بمساعدة الخليفة، والذي بالالتقاء به تم رصد التسامح الديني الذي نتج عنه الجدل الفكري بما تسمح به معطيات الثقافة العربية الاسلامية في ذلك الوقت.

وتكمن اهمية البحث في ابراز التسامح الديني في عصر الخليفة المأمون مع السريان والذي نتج عنه الجدل الفكري ما بين الخليفة نفسه وأحد أهم رؤساء السريان وهو دنونيسيوس التلمحري، والكشف عن ادوات الاخير في الجدل بمقارنة الطقوس الكنسية السريانية مع بعض الشعائر الاسلامية من باب عرض التفاصيل لإقناع الخليفة بوجهة نظر التلمحري بما يعده قضية جوهرية خلال مقابلته للخليفة، فضلا عن المرور سريعا بما يخص المقارنة ما بين تعامل الخليفة مع السريان وزعمائهم وتعامله مع المخالفين له من المسلمين من اصحاب المذهب النقلي والحنابلة المتصدرين للمشهد في ذلك الوقت.

اما هدف البحث فهو المقاربة، اي: كشف التواصل ما بين الجدل الفكري والتسامح الديني والربط بين المفهومين بنصوص التلمحري وتعامله مع الخليفة المأمون، والكشف عن أهمية روايات السريان ودلالتها بما يخص تعامل الخليفة المأمون مع رعيته من غير المسلمين في بغداد والحواضر التي تحت سلطته، وقسم البحث الى عدة فقرات، تناولت الفقرة الاولى شخصية الخليفة المأمون، وتحدثت الفقرة الثانية عن المؤرخ التلمحري، وشملت الفقرة الثالثة لقاء الاخير مع الخليفة، وضمت الفقرة الرابعة التسامح الديني بلقاء الاخيرين، وعرضت الفقرة الخامسة الجدل الفكري بين الخليفة والتلمحري ، واخيرا الخاتمة.

اولا– شخصية الخليفة المأمون:

على الرغم مما كتب في المصادر الاولية والدراسات التاريخية التي تطرقت الى حياته سيتم عرضها بما يناسب موضوع البحث، وهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد القرشي الهاشمي، ولد سنة(170هـ/786م)، وبويع له بالخلافة في عام (198هـ/813م) بعد قتل اخيه الخليفة الامين ، اشتهر بصفات ميزته عن باقي الخلفاء العباسيين منها ميله للعلم ، حاضر البديهة، سريع الجواب، محبا للعفو، كثير الغزو، توفي سنة (218هـ/833م) وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر(الذهبي، 2001، ج10/273–276؛ الكتبي، 2000، ج1/583–585؛ يوسف، 2010، ص165)، والمتابع لشخصية

الخليفة المأمون عند معظم المؤرخين يجده يحمل صفات المحب للعلم والعلماء والمناظرة، فقد ذكر السيوطي(ت911هـ/1505م) نصوصا مهمة على الرغم من تأخره منها((**ولم يل الخلافة من بني العباس اعلم منه**))(1996،ص362)، كذلك نقله لنا ما قاله الخليفة المأمون((**لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال**)) (السيوطي،1996، ص385) ومن النصوص التي تقدم تصورا عن شخصية المأمون ما ذكره الطبري(ت310هـ/922م) بأنه احاط المأمون نفسه بالعلماء وكانت له مجالس للنظر والكلام ويحترم اراء المخالفين والمتناظرين وهو الذي قال: ((**انا احينا الكلام واظهرنا المقالات**))(1967،ج577/8؛ ناجي واخرون،1989،ص96) ، فضلا عما سبق فقد نقل لنا ابن عساكر(ت571هـ/1175م) نقلا عن الزهري ما قاله الخليفة المأمون بما يخص المناظرات والجدل((**غلبة الحجة أحب إلي من غلبة القدرة، لأن غلبة القدرة تزول بزوالها، وغلبة الحجة لا يزيلها شيء**))(1996،ج263/39) ، وبهذه النماذج من النصوص يتبين لنا أن الخليفة المأمون كان يمتلك صفة الاستماع لمن يحاوره، وأن شخصيته تفسح المجال للآخرين بأن يجادلوا دون خوف او وجل بمحددات ليس بالضرورة عواقبها سليمة، واقرب مثال لذلك ما حدث لأحمد بن حنبل(ت241هـ/855م) وبعض اصحابه، لكن يبقى عصره عصر جدل ومناظرات وازدهار المعتزلة وهي فرقة كلامية ظهرت بداية القرن الثاني للهجرة/ الثامن لميلاد في البصرة وازدهرت في العصر العباسي، امتازت بتقديم العقل على النقل(العقل،2000، ص21) ومشاركة العامة بالتوجهات النقلية بعد محنة الحنابلة، في حين أن الاحتكاك السطحي مع السريان لم يكن بمستوى حدة المواجهة مع الحنابلة؛ بسبب اختلاف الخلفية الدينية، يضاف الى ذلك غياب تأثير السريان كطائفة على الخلافة العباسية ومذهبها وتوجهاتها الفكرية.

ثانيا– ديونسيوس التلمحري:

اكتنف الغموض حياته، ولم تزودنا المصادر الاولية، سوى معلومات مقتضبة عنه، إذ ولد في بلدة تلمحرة من اعمال الرها ولهذا نسب اليها، ولم تذكر المصادر سنة ولادته، وقد اعجب منذ طفولته بحياة الرهبانية فنسب الى دير قنسرين غربي مدينة حلب واتشح فيه بالاسكيم الرهباني وهي لفظة يونانية(schema) تعني قطعة من الملابس يلبسها الراهب، اشارة الى استغراقه في الحياة الرهبانية(رينهارت،1979،ج138/1)، ثم ترك هذا الدير بسبب حريق نشب فيه سنة(199هـ/815م) وتوجه الى دير مار يعقوب واكمل دراسته وبالأخص التاريخ، فاهتم به وظهر هذا جليا عند التلمحري بمؤلفاته التاريخية(البكري واخرون،1987،ص310)، وفي سنة(203هـ/818م) نصب بطريركا وامضى طوال حياته محاولا توحيد الكنيسة السريانية وتحجيم معارضيه، وقد قام بعدة رحلات في سبيل ذلك منها رحلته الاولى الى بغداد سنة(205هـ/820 م) للحصول على فرمان(هكذا اوردها المعرب) اعتراف بسلطته

الكنسية(التلمحري،2014،ص15– 16)، فحصل على الاعتراف بمساعدة الامير عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي وهو احد الولاة في العصر العباسي(الزركلي،2002،ج93/4)، كان يحسن التصرف مع الرعية، وتوجه الى تكريت لكن بسبب تصرفات اسقفها المتمرد عرج الى الموصل ثم قصد مدينة قرقيسياء ثم نصيبين ثم مقر اقامته دير قنسرين، ثم رحل الى مصر سنة(210هـ/825م)، ثم قام برحلة ثانية الى بغداد سنة(214هـ/829م) لتدارك الانقسام بعد قرار اتخذه الخليفة العباسي المأمون حول الطوائف والجاليات في بغداد بموجبه يحق لكل عشرة اشخاص أن يقيموا عليهم رئيسا من دون معارضة، ثم قام برحلة ثانية الى مصر سنة(217هـ/832م)، وبعد سنتين رحل الى بغداد للمرة الثالثة سنة(219هـ/834م) لتهنئة الخليفة المعتصم بالخلافة(التلمحري،رحلات،ص15–16)، قضى التلمحري حياته مشغولا بأمور رعيته الذين كانوا متفرقين محاولا توحيد صفوفهم حتى وفاته سنة(230هـ/845م) ودفن في دير قنسرين(مار ميخائيل الكبير،1996،ج78/3).

وقد دون جوانب من سيرته في مؤلفاته باللغة السريانية التي تم تعريبها مثل: كتاب(تاريخ التلمحري) الذي يقع في جزأين، كل جزء يحوي 16 مقالة، ثماني مقالات في كل جزء، مقسمة الى فصول، وقد كتبها تلبية لرغبة ايوانيس مطران دارا وحوى كل ما جرى خلال مئتين واثنتين وستين سنة– 229هـ(581–843م)(التلمحري،2011،ص7).

وكتاب(الازمان)(التلمحري،2008،ص8)،وكتاب(الوقائع التاريخية)(التلمحري،2016،ص33)، فضلا عما سبق فقد وصل الينا نصوص رحلاته بكتاب(تاريخ مار ميخائيل السرياني) التي جمعها (تيسير خلف) في كتاب بعنوان (رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري)(التلمحري،2014،ص6)، وهناك اراء فيما يخص كتب سريانية اخرى مفادها أنه نسب إليه كتاب(تاريخ الزوقنيني)(الشمري،2023،ص40–42) والخوض في ذلك ليس من اهتمام هذا البحث.

لقد كانت رواية ديونيسيوس التلمحري من اهم النصوص السريانية واكثرها معلومة؛ نظرا لاعتمادها لغة وجدانية تعتمد في صياغتها ضمير المتكلم والتجربة الذاتية وهي صيغة اعتمدها اصحاب كتب الرحلات عادة، إذ عاصر اربعة خلفاء من بني العباس هم: هارون الرشيد(170–193هـ/786–809م)، ومحمد الامين(193–198هـ/809–813م)، وعبدالله المأمون(198–218هـ/813–833م)، وابي اسحاق المعتصم(218–227هـ/833–841م) كونه شاهد عيان عاصر الكثير من الاحداث التاريخية المهمة التي كتبت احداثها في مصادر التاريخ الاسلامي مصدرها روايات شفوية بعد عقود طويلة، لعل اقربها ما كتبه خليفة بن خياط (ت240هـ/855م) في كتابه(تاريخ خليفة بن خياط)، او الطبري(ت310هـ/922م) في كتابه(تاريخ الرسل والملوك)، او اليعقوبي(ت284هـ/897م) في كتابه(تاريخ اليعقوبي)(التلمحري،2014،ص11–12).

ثالثا– لقاء الخليفة المأمون مع التلمحري:

اما بالنسبة إلى لقاء الخليفة المأمون مع التلمحري، فلم يرد في المصادر العربية الاسلامية اي اشارة الى مثل هذا اللقاء، وبالتالي ما ورد من نصوص عند التلمحري لا يمكن وصفها إلا أنها نصوص احادية تجبر الباحث على التفحص والحذر من صحتها او المبالغة التي فيها، لكنها لا تخلو من معطيات تاريخية يمكن رصدها بعرض مضامين بعض النصوص المعربة عن السريانية، إذ ورد عند التلمحري نصا مفاداه : اصدر الخليفة المأمون قرارا ينص بقبول كل مجموعة تتكون من عشرة أشخاص فأكثر تريد إقامة رئيس لها للوقوف معهم (التلمحري،2014،ص68)، ولعل اشارات هذا النص هو التسامح الموجود عند الخليفة المأمون حينما قرر عدم معارضة اي مجموعة تتكون من عشرة أشخاص باختيار رئيس ديني لهم، لكن هذا القرار في ظاهره تسامحا دينيا، لكن في نتائجه كما ذكر التلمحري نفسه وهو يتحدث عن طائفته "من اجل اضعافنا والتحكم فينا" (التلمحري،2014،ص68).

والجدير بالذكر أن صراحة التلمحري في مضمون هذه الرواية لم تكن واضحة لولا أن اصل الراوية قد كتب باللغة السريانية، وأن كاتبها– التلمحري– يدرك تماما أن الاطلاع عليها بعيد كل البعد عن الخليفة نفسه او من ينقل له مضمونها، فضلا عن أن طابع الكتابات السريانية قد اتسم بالصبغة والمفردات الدينية وبالتالي يكون الاطلاع عليها وتداولها في محيط الكنسي على عكس كتب التراث الاسلامي التي هي متاحة ومتداولة في الحواضر والاطراف.

إن موجبات لقاء الخليفة المأمون من قبل التلمحري هو اقناع الخليفة بالعدول عن موافقته بما يخص تعيين غيره بطريركا لانطاكية، فسافر الى بغداد وهي الرحلة الثانية وذلك سنة (212هـ/829م)، إذ قال التلمحري: **((وهو ما دعانا الى زيارة الخليفة في بغداد لإلغاء هذا القرار، حيث ساد الخوف بعد انقسام اليهود على إثر إقامة الذين في طبرية شخصا يدعى داود حبرا لهم، في حين اقام الذين في بابل شخصا آخر يدعى دانيال من شيعة الكنعانيين– لعله يقصد فرقة القرائين التي أسسها عنان بن داود في بغداد ايام الخليفة المهدي (158–169هـ/758–774م) التي ترجع كتبها اصول القرائين الى ايام يربعام الاول اول ملوك المملكة الشمالية، اي: الى القرن العاشر قبل الميلاد_ الذين يحلون السبت ويحفظون الاربعاء ، فلما وصلت مشكلتهم الى الخليفة المأمون قرر أن يختار من كل جانب رئيسا له – إذ نشا خلاف ايام الخليفة المأمون بين رؤساء الجالوت وهو لقب امير الجماعة اليهودية الدنيوي في بلاد الرافدين ، ورؤساء المدارس اي: رؤساء الدينيين، مما اضعف هاتين الرئاستين، وكان الخليفة المأمون يحكم بينهم حتى ضاق صدره فاتخذ القرار الذي ينص على السماح لكل عشرة اشخاص اذا اتفقوا فيما بينهم أن يقيموا رئيسا عليهم_ لما بلغنا العاصمة[هكذا وردت في النص المعرب] وقبل أن نمثل امام الخليفة، اثار ابليس[يقصد لعازر اسقف بغداد] فتنة اكثر شرا من فتنة نصيبين، وذلك بالتهم**

التي قدمها اهل بغداد الينا ضد اسقفهم لعازر، والتي كانوا قد قدموها الينا قبل سنتين في انطاكية... ولما اضطررنا الى قراءة التحقيق وثبتت لدينا التهم قررنا عزله ، ..)). ولاسيما بعد انشقاق كنيسة بغداد ووصول القضية الى الخليفة ، ونسب اصحاب لعازر سبب ذلك اليهم (التلمحري،2014،ص69) ، لقد كانت هذه النزاعات الداخلية تشكل ازعاجا للخلافة العباسية، وقد بدا ذلك واضحا عندما اورد التلمحري ما نصه: **((واخيرا قال: ايها المسيحيون، انكم تزعجوننا كثيرا وتؤذوننا، لاسيما انتم اليعاقبة كما هو واضح من الشكاوى التي تقدمونها الينا ضد بعضكم البعض، فامض الان وعد إلي غدا))** (التلمحري، 2014، ص71).

إن من اهم الدلالات لمضمون الرواية السابقة أن التسامح الديني الذي ساد في عصر المأمون لم يكن مقتصرا على السريان فقط ، بل شمل اليهود في عصره وذلك بعدم فرض رؤساء عليهم، وبالتالي حدد لهم حرية الاختيار لمن يجدونه مناسبا على وفق توجهاتهم الدينية بتفاصيلها، والمتابع للسرد الذي جاء به التلمحري يجد مدح النفس وابراز الزعامة ظاهرا في مروياته ويؤكد ما ذهب اليه الخليفة المأمون من حرية اختيار الرؤساء اذ قال التلمحري عن وصوله الى بغداد إنه عزل اسقف بغداد العازر بعد أن اشتكى منه سريانها ، وذلك منعا من انشقاق كنيسة بغداد والمحافظة على وحدة الصف ومنع التشذي(التلمحري،2014،ص71).

رابعا–التسامح الديني: هو مفهوم اخلاقي وفكري قائم على احترام المخالف والاعتراف به ، ومشروعية الحوار معه، والتسامح جاء من كلمة سمح بمعنى اعطى، والتسامح هو المساكنة والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر في الرأي والعقيدة والفكر(سليمان،2009،ص11)، وتعددت طروحاته على وفق ما يعرف من حوارات تنطلق من مفهوم التسامح في الفكر او الموضوع وتتجلى ذلك بلقاء التلمحري مع الخليفة المأمون، وهو موقف ايجابي متفهم من العقائد والافكار يسمح بتعايش الافكار المختلفة على اساس شرعية الاخر وحرية التعبير عن آرائه وعقائده، اذ وصف التلمحري الاخير بأنه**((الخليفة المسالم، الملك الظافر))**(التلمحري،2014،ص69–70). وبالتالي هذا الوصف يعبر عن حقيقة تعامل الخليفة المأمون مع السريان(السيوطي،1996،ص117).

إن من مفردات لقاء المأمون مع التلمحري هي بمثابة اعتراف السريان بشرعية الخلافة وأنهم رعاياها وأنهم يتمتعون بحريتهم الدينية، وأن التعايش السلمي كان مقدمة مشجعة لوجود جدل فكري ومناظرات تقدم فيها وجهات نظر متعددة اذ ذكر الاخير : **فبسط إلي يده كالعادة المألوفة لدى الخلفاء الذين يمدون أيدهم باحترام لأول الداخلين اليهم فسألني: ما شأنك وكيف تسير الامور عندكم؟ فأجبت : اننا نتمتع بأمان وسلام، ونقدم الشكر لك**(التلمحري،2014،ص70). ويلحظ من هذا النص الاحترام

المتبادل ما بين الخليفة المأمون والسريان ولاسيما التلمحري الذي يبدو أنه كان يتمتع بمكانة فيها بما يميزه عند الخليفة المأمون، اذ بسط يداه للتلمحري، وسمح له بالدخول اليه وسأله عن احوال رعيته فأجابه نحن بخير، ويسرد التلمحري لقاءه مع المأمون أن الغرض من رحلته الى بغداد هو زيارة الاخير والدعاء له بقوله:" **لم يكن لنا وللأساقفة اي غرض من مجيئنا الى هنا، سوى زيارتك والدعاء لك ، ولكن لما طال مكوثنا هنا، صادف وأن رفعت الينا شكوى ضد اسقف هذه المدينة...انتزعنا منه السلطة، فقاومنا مع بعض المتمردين متشبثا بقرارك القاضي بأن كل مجموعة مؤلفة من عشرة اشخاص فما فوق بإمكانهم اقامة رئيس لها، ولا يحق لأحد مقاومته**"(التلمحري، 2014،ص70). لكن المأمون رد على التلمحري ردا متسامحا : "لقد سبق واتخذ قرار خاص باليهود ، ولسنا ملزمين به "(التلمحري، 2014،ص70)، فتعجب التلمحري من قوله واجابه أن صدر هذا الامر فإن احوالنا ستضطرب وسنخرج عن حكمكم (التلمحري، 2014،ص71) .

وعلى وفق روايات التلمحري التي انفرد بها أنه تواصل الجدل بينه وبين الخليفة وتعجب الاساقفة الذين معه بالكلام الذي تفوه به، وبعد عشرة ايام قرر الخليفة الاجتماع به بحضور الفقهاء، فدخل التلمحري الى الاجتماع فسلم ودعا للخليفة المأمون، وهذا دليل على التسامح وقبول الحوار للطرف الاخر ووصف الاجتماع قائلا: دخلت عليه في الصباح بمفردي ووقف معظم الاساقفة على الباب، وكان حوله علماء بغداد وقضاتها، فسلمت ودعوت له، فأمر بأن اجلس، وقال لي: ((**لقد انحيت علي باللائمة ظلما ايها البطريرك، بسبب القرار الذي اصدرته بحقكم ، لذا جمعت الفقهاء لا تحدث اليك امامهم**))(التلمحري، 2014،ص72) .

والتفت الخليفة ليكمل كلامه متوجها بنظره صوب الفقهاء وقال: **((ماذا ترون هل يستوجب علينا أن نعين حكاما من المسيحيين ما دامت الدولة لنا، ام انهم بحسب القرار الذي أصدرته فيهم وفي اليهود يتمتعون بالسلام الذي نوفره لهم إذا ما أخلصوا لنا الطاعة والتزموا بالهدوء ولن يكون من يكرههم على تغيير ايمانهم وتقاليدهم))**(التلمحري، 2014،ص72). فكان جوابهم لهذا السؤال مقترنا بالزيف مثل ما عبر عن ذلك التلمحري، اذ قالوا: **((ترى من مثلك له خبرة في الاحكام، او من اصدر حكما اكثر عدلا من هذا))**(التلمحري، 2014،ص72) .

ويبدو في هذا النص أن الخليفة اراد أن يبين أن الدولة العربية الاسلامية كانت متسامحة تجاه الاقليات الاخرى في اعطائهم الامن والامان ولهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية دون تعيين حاكم عليهم اذا ما اخلصوا للدولة ، وكان رأي الحاشية مع الخليفة في اخذ هذا القرار الصائب والاكثر عدلا بحسب قناعاتهم.

فانزعج التلمحري لهذا القرار وكان رده ردا يحمل حججا لتعزيز موقفه، فطلب من الخليفة أن يسمح له بالتحدث عن سر المسيحيين واذن له في ذلك قائلا: ((**عندما أشرق ديننا في العالم بواسطة تعاليم المسيح الذي انقذنا من عبادة الاوثان، وبعد أن اكمل تدبيره وقبل أن يصعد الى السماء دعا تلاميذه... الى الايمان بفعل المعجزات، ولما كان الموت امرا محتما... قسموا المسكونة- يقصد الارض- اربعة اقسام، واقاموا رئيسا على كل قسم دعوه بطريركا وجعلوا كراسيهم في مدن كبرى هي رومية والاسكندرية والقسطنطينية وانطاكية، وهؤلاء رسموا اساقفة واقاموا رئيسا لكل عشرة اساقفة وخولوا الاساقفة صلاحية رسامة كهنة وشمامسة والرتب الادنى منها ومن هنا فإن سلطة البطريرك تطال الاساقفة والكهنة والشمامسة... ولا يجوز أن يقاومه ... او يعارضه في ما يفعل**)) (التلمحري، 2014،ص72- 73).

واستمر التلمحري بإيراد حججه بأنها سارية المفعول منذ ايام المسيح وحتى اليوم ولم يغيرها ملك ما، ويتضح أن التلمحري وجد ضالته عند الخليفة المأمون الذي كان عادلا وحكيما تجاهه قائلا: ((**وقد ثبت آباؤك المرحومون الرئاسة لنا، وكانوا يزودوننا بالفرامين[هكذا وردت في النص المعرب]، وانت نفسك أعطيتني فرمانا في بدء حكمك لذلك، وحيث انك تلتزم جانب العدالة ، آمل أن لا تسن لنا قوانين جديدة ، لاسيما أنه لم يقم خليفة اكثر حكمة ومنطقا وكبر نفس منك**)) (التلمحري، 2014،ص73).

ويبدو أن التلمحري كان داهيا ، اذ وظف عدة امور عند حديثه مع الخليفة مستغلا عدم وجود دعم للمسيحيين من قبل الكنيسة آنذاك فاستفاد من الشكوى التي قدمت ضده، وقصص كثيرة قائلا: ((**اما بخصوص الشكوى التي قدمها ضدي ذلك الاسقف المعزول، فليعلم الخليفة أن بعض الاشرار من المسيحيين الذين يعزلون، اعتادوا على اقامة شكوى ضدنا ولأنهم يعلمون أن لا سند لهم من جهة القوانين الكنيسة، فهم يلتجئون اليكم واشين بنا امامكم... ثم رويت له قصة اسقف دارا مع البطريرك جاورجي، وقصة الجبيين وابيرام مع البطريرك قرياقس، وختمت حديثي بالطلب اليه أن يرفض الشكوى المقدمة ضدنا"(التلمحري، 2014،ص73)، فأجابه الخليفة:" لقد سمعنا عن معاملة الاسلاف لكم، ونحن ايضا نعاملكم بما يليق ، لكن لماذا تتمسكون انتم معشر المسيحيين بهذا الامر اكثر من سائر الاديان**))(التلمحري، 2014،ص73)

أن المتابع للنصوص السابقة وطبيعة الحوار الدائر فيها يؤكد بما لا يقطع الشك أن الخليفة المأمون لم يكن بمعزل عن الرعية، وأن لقاءه بوفود تمثلهم كان نسبيا مستمرا، وأنه مهتم بجزئيات احوال اليهود والسريان، كذلك وجود الفقهاء في مجلسه ومشاورتهم دليل على الحرص في مشاركة الاخرين باتخاذ القرار، ولعل هذه الحادثة مع التلمحري على اقل تقدير، فضلا عما سبق فإن الروايات السابقة التي انفرد

بها التلمحري مؤشراتها واضحة في التسامح الديني والاستماع الى الاخر غير المسلم، وقد يكون انفراد الاخر وهو التلمحري برواية لصالح الخليفة هو دليل صحتها وعدم التشكيك بها على الرغم من عدم ذكر مضمونها من قبل المؤرخين المسلمين، في حين كل ما سبق هو بحد ذاته جدل فكري بين طرفين سيتم تناوله فيما بعد.

خامسا – الجدل الفكري:

لم يكن الجدل الفكري في عهد الخليفة المأمون مقتصرا على اصحاب المذاهب الفكرية عند المسلمين فقط من اصحاب العقل واصحاب النقل، إنما شمل الجدل الفكري السريان وتوجهات بعضهم، وبالتالي كان روح العصر مشحونا بالجدل والمناظرات، ونحاول أن نقدم تعريف الجدل في اللغة والاصطلاح، ففي اللغة عرفه الزمخشري جدل الحبل، اي: فتله(الزمخشري،د/ت،ص85)، والجديل : الزمام المجدول من ادم، ويقال رجل مجدول، اي: لطيف محكم الفتل(الفيروز آبادي،2008،ص200)، اما في الاصطلاح فعرفه الجرجاني: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، الغرض منه إلزام الخصم وافحام من هو قاصر عن ادارك مقدمات البرهان(الجرجاني،2003،ص60) ، ويقصد به الحوار او المحاورة ومنه التحاور، اي: التجاوب، وهو ضرب من الادب الرفيع، واسلوب من اساليبه، وقد ورد كلمة الجدل والحوار في سورة المجادلة في قوله تعالى: " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما"(سورة المجادلة، اية 1).

أما لقاء الخليفة مع التلمحري فنجد أن غالب النصوص التي وردت في كتاب التلمحري فيها الكثير من الجدل الفكري الذي امتاز بتبادل الحجج بين الطرفين دفاعا عن وجهة نظر معينة، وقد تقود تلك النزعة الى السيطرة وتغيب الرأي الواحد الذي لا يقبل اراء غيره حتى وإن لم تعاكسه في المبدأ وإنما في الجوانب الهامشية التي تقبل تعدد وجهات النظر وتقبل المختلف منها، وإن كنا نتوجس من إثارة القضايا الجدلية، إلا أن لإثارة البعض منها فوائد كثيرة ولاسيما الفكرية والثقافية، وقد اتضح جليا في قوة طرح بعض القضايا الثقافية، اذ كان على البطريك التلمحري أن يتدخل لدى الخليفة بنفسه في قضية شكوى يعاقبة بغداد على اسقفهم لعازر بن شبثا ذلك أن الخليفة لسماحة طبعه اعطى اليهود اذنا يجيز للجماعة الدينية أن تختار رئيسها الديني ولو لم يتجاوز عدد افرادها العشرة، واجاز لهذا المختار الحصول على اعتراف الخليفة به وقد وافق هذا الامر لعازر الاسقف(فييه،2009،ص116)، ولكنه لم يوافق التلمحري الذي قال :((**وذلك من اجل إضعافنا والتحكم فينا**))(التلمحري،2014،ص68).

لقد جادل التلمحري الخليفة بعرض التفاصيل، وهدفه هو ايصال فكرته للخليفة العباسي، بل إن اهم ادواته في الجدل هي عرض التفاصيل والقيام بالمقارنة ما بين تفاصيل الطقوس المسيحية عند السريان وبعض الشعائر عند المسلمين، ومن تلك التفاصيل ما ذكره التلمحري: ((**وإن اليهود قلقون من زيارتنا للخليفة لكي يشملهم التخلص من هذا القرار، لكن الرئاسة عندنا تختلف عما هي لدى المجوس واليهود وهؤلاء يسمون رؤساءهم ملوكا ويتسلمون الرئاسة بالوراثة، ويؤدون لملوكهم معظم الواجبات مثل الضريبة التي لا وجود لها عندنا، فهناك ثلاثة انواع من الرئاسة طبيعية وجبرية وإرادية، والرئاسة عندنا تأتي نتيجة الانتخاب واتفاق اراء الشعب ، ونحن ننظر اليها ككهنوت لا كرئاسة مدنية، ومثلما أن الامام يؤم المصلين عندكم ويعظ ويوجه الى عمل الصلاح، هكذا يؤم البطريرك والاساقفة عندنا، المصلين ويحثونهم على التمسك بالشريعة، ويصدرون عقابا بحق المذنبين، لكن ليس إقامة الحدود كما تفعلون، بل بالتجريد من الرتبة، سواء أكان المذنب اسقفا ام كاهنا...فنحن إذن لسنا كسائر الشعوب الاخرى ايها الخليفة، وأن الخسارة التي تلحق بنا من جراء إلغاء رئستنا، لا تتمثل بالمادة، بل تمس عقيدتنا وتبعدنا عن الله ... وكل ما يهمنا هو أن لا تهان شريعتنا بإعطاء الرئاسة لكل من يرغب وفي اي ظرف كان**)) (التلمحري،2014،ص73-74).

وبعد أن انتهى البطريرك من كلامه وافق الخليفة على عزل عزار عن الاسقفية، بيد أن الخليفة لم يسمح للبطريرك بطرده من الكنيسة ولا يحرمانه من الصلاة (فييه،2009،ص116-117)، قائلا: ((**نحن لا نمنعكم من تجريد من يقاومكم من رتبته، إما أن تطردوا شخصا من الكنيسة او تمنعوه من الصلاة، فهذا ما لا نسمح لكم به**))(التلمحري،2014،ص75). وبهذا الجدل الفكري تمكن التلمحري من عزل اسقف بغداد عن منصبه وتحقيق هدفه لأجل الحفاظ على وحدة الكنيسة.

وايضا من خلال لقاء الخليفة مع التلمحري اثيرت قضية اخرى تضاف الى القضية الاولى وهي أن قاضي الموصل يقصد به ابو الحسن علي بن مسهر القرشي(ت189هـ/804م)(الذهبي،2001،ج8/484)، جاء الى الخليفة يشكو اليه، فاستغل التلمحري ذلك، ويبدو أن الخليفة كان يدرك أن الاخير سيوظف هذه القضية الى جانبه فالتفت اليه قائلا: ((**اصغ ايها البطريرك وانظر كم نحتمل منكم**))(التلمحري،2014،ص75). فلما تليت شكوى قاضي الموصل امام التلمحري لاحظ أنه يبخس بالمسيحيين ، فقال الاخير: ((**حفظك الله ايها الخليفة، إن ابناء الموصل واقفون على بابك منذ عدة ايام منتظرين أن يقدموا شكوى ضد قاضيهم الذي بالغ في ظلمهم، فهلا أمرت بدخولهم واستمعت الى شكواهم؟ فقال: هل بإمكانك أن تتحدث باسمهم**))(التلمحري،2014،ص75). فأخبره بأن اهل الموصل قد سلموا مدينتهم خلال الفتح الاسلامي

دون قتال مقابل الحصول على عهود ومواثيق، ولكن هذا القاضي خالف تلك العهود فأرسل المأمون الى قاضي القضاة يحيى بن اكثم المروزي البغدادي تولى قضاء بغداد(ت242هـ/856م)(الذهبي،2001،ج233/13) وطلب منه التأكد من مصداقية هذا الخبر من قبل اهل الموصل .

ويبدو أن الحوار والجدل الفكري ما بين الاثنين كان تشوبه كلمات جميلة منمقة لكسب الطرف الاخر وهذا ما لحظناه في اثناء حديث التلمحري مع الخليفة إذ قال: ((**حفظك الله ايها الخليفة**))(التلمحري،2014،ص75) . ويتبين أن التلمحري حاجج الخليفة بقضية شكوى الموصل، فأجابه الاخير لا يليق بنا أن ننظر في امركم؛ لأن مثل هذه الشكاوى كانت من اختصاص ديوان المظالم، ولما كان يقدر شجاعة البطريرك حاججه بأمر فتح الموصل وهل فتحت صلحا كما قال الاخير وهل الذي فتحها كتب لهم عهدا، اذ كان جواب التلمحري: إن اهل الموصل سلموا مدينتهم طوعا، وقد تعهد فاتحها بعدم هدم كنيسة، ((**غير أن هذا القاضي هدم كنيستهم الكبرى وألغى شريعتهم**))(التلمحري،2014، ص75). فجيء الخليفة بالعهد المطلوب، فأمر بأن يكتب الى عامل الموصل بذلك(فييه،2009،ص117) ، واستطاع الخليفة المأمون أن يحل القضية بأسلوب ودي والتفت الى التلمحري وقال له:((**إننا لا نتدخل بينكم ولكن اذا تمرد عليك احد الاساقفة الذي تحت سيطرتك وثارت فتنة بسببه، فنأمر أن تبقى اوقاف كنيسته تحت توليكم ولا يحق له ادارة شؤون كنيسته باستثناء الصلاة فيها**))(التلمحري،2014،ص75). وامر القاضي اسحاق بن ابراهيم بن مصعب الخزاعي وهو امير بغداد ووالياها قرابة ثلاثين عاما، كان صارما حازما، على يده امتحن العلماء بأمر المأمون وهو ابن عم طاهر بن الحسين(ت235هـ/849م)(الذهبي،2001،ج265/13)، بأن ينظر اذا ثبت أن لعازر هو تحت سيطرة البطريرك "نفذ فيه امرنا وامنعه من إثارة الشغب"(التلمحري،2014 ، ص75). وانتهى اللقاء بين الاثنين بمغادرة التلمحري بغداد مرتحا لحديثه مع الخليفة ، بعد أن علم أن الشيوخ ابلغوا الشعب المجتمع خارجا، بأن حديث البطريرك كان جميلا واعجبوا بشجاعاته، ويجب أن تتمسكوا به ((**لأننا لم نر مسيحيا بقوة الاقناع مثله**)) (التلمحري،2014،ص75).

ويلحظ بمثل هذا الانطباع الذي لا يخلو من مدح النفس بالنسبة إلى التلمحري والشعور بتحقيق منجز مهم للكنيسة السريانية، والسعي الى توصيل فكرة مفادها أن الندية في طرح الافكار على اقل تقدير مع الخليفة المأمون بمستوى المواجهة ولا نقول التحدي قد تحقق بما يدعو الى الفخر.

الخاتمة:

يتبين بالبحث والاطلاع على النصوص السريانية المعربة التي اوردها لنا التلمحري ما يأتي:

اولا: إن الجدل الفكري في عهد المأمون لم يكن خاصا بأصحاب المذاهب الفكرية من اصحاب العقل واصحاب النقل إنما شمل السريان وانقسامهم ايضا.

ثانيا: إن التسامح الديني لا يوجد ما يناقضه بما يخص السريان، بل إن انفراد التلمحري كأنموذج بذكره هو تأكيد للتسامح في عهد الخليفة المأمون، وبالمقابل لم يكن موقف الاخير من مسألة خلق القرآن والجدل ما بين العقل والنقل ومحنة الحنابلة بمستوى تعميم التسامح الديني خلال مدة الخليفة المأمون.

ثالثا: إن الجدل الفكري الذي ظهر جليا بروايات احادية من قبل التلمحري هو نتاج التسامح الديني الذي ساد في عهد الخليفة المأمون وبالتالي فإن الجدل هو تعبير عن سيادة العقل والمنطق ، وإن التلمحري كانت مقاربته للوصول الى كسب الخليفة بأمثلة يقارن فيها ما بين الطقوس المسيحية والشعائر الاسلامية.

رابعا: إن السريان كانوا محل اهتمام الخليفة المأمون، وانفردوا بروايات لم نجدها عند المؤرخين المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1. البكري، محمد حمدي واخرون. (1987). تاريخ الادب السرياني من نشأته الى العصر الحاضر. القاهرة:دار الثقافة للنشر والتوزيع.
2. التلمحري، ديونيسيوس(ت277هـ/843م). رحلات البطريرك ديونيسيوس التلمحري. تحقيق: تيسير خلف. ط1. ابو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع. 2014.
3. التلمحري، ديونيسيوس(ت277هـ/843م). تاريخ مار ديونيسيوس التلمحري. ترجمة: المطران صليبا شمعون. ط1. دهوك: دار المشرق الثقافية. 2011.
4. لتلمحري،(2008)،ديونيسيوس(ت277هـ/843م)،تاريخ الازمان، ترجمة: شادية توفيق حافظ، ط1،القاهرة: المركز القومي للترجمة.
5. التلمحري، ديونيسيوس(ت277هـ/843م). كتاب الوقائع التاريخية السريانية. ترجمة: الشماس بطرس قاشا. ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. 2016.
6. الجرجاني، علي بن محمد. (2003). كتاب التعريفات. ط1. بيروت: دار احياء التراث العربي.
7. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان. (2001). سير اعلام النبلاء. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي . ط11. بيروت:مؤسسة الرسالة.
8. رينهارت، بيتر آن دوزي. (1979). تكملة المعاجم العربية. ترجمة: محمد سليم النعيمي. بغداد: وزارة الثقافة والاعلام.
9. الزركلي، خير الدين. (2002). الاعلام. ط15. بيروت:دار العلم للملايين.
10. الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر. (د.ت)،.اساس البلاغة. بيروت: دار صادر.
11. سليمان، دريع علي. (2009). حقيقة التسامح في الإسلام. الكويت: مكتبة ابن كثير.
12. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر. (1996). تاريخ الخلفاء. تحقيق: ابراهيم صالح. بيروت: دار صادر.
13. الشمري، حمود سلمان هزاع محمد. (2023). المرويات التاريخية للتلمحري في العصر العباسي للحقبة(198–227هـ/813–842م) دراسة مقارنة مع المصادر العربية. رسالة ماجستير (غير منشورة). جامعة الموصل. كلية التربية للعلوم الانسانية.
14. الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير. (1967). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم. القاهرة: مدار المعارف.
15. ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن. (1996). تاريخ دمشق. تحقيق: محب الدين ابو سعيد عمر العمروي. بيروت: دار الفكر للطباعة والتوزيع.
16. العقل، ناصر عبد الكريم. (2000). الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديما وحديثا. ط1. المملكة العربية السعودية: دار الوطن للنشر.
17. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2008). معجم القاموس المحيط. رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا. ط3. بيروت: دار المعرفة.

18. فييه، جان موريس. (2009). احوال النصارى في خلافة بني العباس. ترجمة: حسني زينه. ط2. لبنان: دار المشرق.
19. الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد. (2000). فوات الوفيات،تحقيق: الشيخ علي محمد معوض. والشيخ عادل احمد عبد الموجود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
20. مار ميخائيل الكبير. (ت597هـ/1199م). تاريخ مار ميخائيل الكبير. ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون. ط1. حلب: دار ماردين للنشر. 1996.
21. ناجي، عبد الجبار ناجي واخرون. (1989). الدولة العربية في العصر العباسي. جامعة البصرة: وزارة التعليم العالي.
22. يوسف، إفرام. (2010). الفلاسفة والمترجمون السريان. ترجمة: شمعون كوسا. ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

List of Sources and References:

-alquran alkarim

1- albakri,(1987), muhamad hamdi wakharuna, tarikh aladib alsiryanii min nash'atih alaa aleasr alhadira,alqahratu:dar althaqafat lilnashr waltawzie.

2-altilmahri,(2014), diunisiusi(ta277h/843mu),rahilat albatriark diunisius altilmahriu, tahqiqi:taysir khalafa, ta1,abu zabi: dar alsiwidii lilnashr waltawziei.

3-altilimahri ,(2011),dyunisiusi(t277h/843mi), tarikh mar diunisius altilmahri, tarjamatu: almutran saliba shimeun,ta1,dihuk: dar almashriq althaqafiati.

-4-altilimahri,(2008),diunisiusi(t277h/843mi),tarikh alazman, tarjamatu: shadiat twfiq hafiz, ta1,alqahrati: almarkaz alqawmia liltarjamati.. 5altilimahri,(2016),dyunisiusi(t277h/843mi), kitab alwaqayie altaarikhiat alsiryaniati, tarjamatu: alshamas butrus qasha, ta1,biruta:almunazamat alearabiat liltarjamati.

----6-aljirjani, (2003),eali bin muhamad, kitab altaerifati,t1,birut: dar ahya' alturath alearabii.

7- aldhahbi,(2001), shams aldiyn muhamad bin ahmad bin euthman, siar aelam alnubala'i, tahqiqu:muhamad naeim alearqasusi , ta11, bayrut:muasasat alrisalatu.

8-rinharti,(1979), bitir an duzi, takmilat almaeajim alearabiati, tarjamat muhamad salim alnueaymi,baghdad: wizarat althaqafat walaeilami.

9-alzirkili,(2002),khir aldiyn,(2002), alaelama,ta15,biruta:dar aleilm lilmalayini.

10-alzamakhshari,(da/t), jar allah abi alqasim mahmud bin eumar,asas albalaghat,birut: dar sadir.

11-sliman,(2009), darie eali,haqiqat altasamuh fi aliaslami,alkuayti:maktabat abn kathir .

12- alsiyuti,jilal aldiyn eabd alrahman bin abi bikr,(1996),tarikh alkhulafa'i, tahqiqu: abrahim salihi, bayrut: dar sadir.

Vol 12, Issue 42, Nov 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

13- alshamriu,(2023), hamuwd salman hazae muhamad,almarawiaat altaarikhiat liltilmahrii fi aleasr aleabaasii lilhiqbati(198-227h/813-842ma) dirasat muqaranat mae almasadir alearabiati,risalat majistir ghayr manshurati,jamieat almusil,kaliat altarbiat lileulum.

14-ltabri,(1967),abu jaefar muhamad bin jirir,tarikh alrusul walmuluka, tahqiqu: muhamad abw alfadl abrahim,alqahrat:mdar almaearifi.

15-abin easakir,(1996),abu alqasim eali bin alhasani, tarikh dimashaqi,tahiqiqi:mahabi aldiyn abu saeid eumar.

16- aleaqli,(2000), nasir eabd alkrim, aljihamiat walmuetazilat nash'atuhuma wa'usuluhuma wamanahijuhuma wamawqif alsalaf minhuma qdymaan whdythaan , tu1 ,almamlakat alearabiat alsaeudiatu: dar alwatan lilnashri.

17- alfayruz abadi, (2008) , majd aldiyn muhamad bin yaequba, muejam alqamus almuhit , rutabah wawathiqahu: khalil mamun shiha,ti3, bayrut: dar almaerifati.

18-fiih,(2009), jan muris, ahwal alnasaraa fi khilafat bani aleabaasi, tarjamatu: husni zinhi,ta2, lubnan: dar almashriqi.

19- alkatbi,(2000), muhamad bin shakir bin ahmad, fawat alwafyat,thqiq :alshaykh eali muhamad mueawad, walshaykh eadil ahmad eabd almawjudi,ti1,birut: dar alkutub aleilmiati.

20- mar mikhayiyl alkbir,(1996),(t597h/1199mi), tarikh mar mikhayiyl alkabir, tarjamatu: mar ghrighuryus saliba shimeun, ta1,hilb:dar mardin lilnashri.

21-naji,(1989),eabd aljabaar naji wakharuna, aldawlat alearabiat fi aleasr aleabaasi,jamieat albasrat:wizarat altaelim aleali.

22-yusf,(2010),'iifram,alfalasifat walmutarjimun alsiryan,tarjimatu: shimeun kusa, ta1,alqahrat:almarkaz alqawmia liltarjamati.